التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد المزدوج ١٢٣-١٢٤ خريف ٢٠١١ شتاء ٢٠١٢ السنة الحادية والثلاثون

في هذا العدد:

أ. د. حسين جمعة — الوحدة الفنية في الشعر الجاهلي. زهير أنموذجاً.
د. سكينة موعد — ما ذكر في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ، دلالتها ومعانيها
د. أحمد فوزي الهيب — مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره.

ملف العدد "دراسات بلاغية" وفيه:

أ.د. عبد الفتاح محمد — الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم
د. خلدون سبح — بلاغة المثل في القرآن الكريم
د. أحمد ويس — فكرة الاختيار وموقعها من التنظير الأسلوبي في التراث العربي
د. محمد هيثم غرة — أبيات المتنبي في دلائل الإعجاز
د. منيرة فاعور — فن الإيجاز في أدب التوقيعات
د. خالد زغريت — الأسس البلاغية لبنية القيمة الجمالية للسحاب في الشعر الجاهلي
أ.د. عبد الفتاح محمد — اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية أدائية)

التراث العربي
مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
العدد المزدوج ١٢٣-١٢٤ خريف ٢٠١١ شتاء ٢٠١٢ السنة الحادية والثلاثون

في ملف العدد القادم ومواده:

أ.د. بكري شيخ أمين — البدهيات الضاحكة عند ابن سُودُون
أ.د. فاروق اسليم — من تراثنا الشعري المقاوم للصليبيين أسامة وابن رزّيك نموذجاً
أ.د. ماجدة حمود — ابن المعتز والنقد الأدبي
أ.د. محمد فلفل — التركيب اللغوي في شعر المتنبي
د. عزت شاهين — الأبعاد الديموغرافية في فكر ابن خلدون
جورج عيسى — الفيلسوف العربي يحيى بن عدي
محمود فاخوري — فن التراجم
أ.د. خليل الموسى — الأسئلة الوجودية في لزوميات المعري
د.محمد رياض وتار — أطراف الخطاب السردي في رسالة الغفران
د.عبدالكريم حسين — تأويل النص عند أبي العلاء المعري

السعر: داخل القطر (٥٠) ل.س
خارج القطر (١٠٠) ل.س

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

ما ذُكِر في تفصيل أحوال الشّجاع من ألفاظ: دلالتها ومعانيها

د. سكينة محمود موعد (*)

المقدمة:

هذا البحث يتكلّم على أهمّ ما قيل في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ: دلالتها ومعانيها، وقد عقد الثعالبي في كتابه (فقه اللّغة) فصلاً حول الشجاعة وتفصيل أحوال الشجاع؛ غير أنّه لم يقف على المعنى الأصلي لتلك الألفاظ، وهذا البحث سيحاول أن يعيد تلك الألفاظ إلى المعنى الأصلي لها، ويتحدث عن دلالتها ومعانيها، ولتحقيق هذا الهدف حاول البحث – ما أمكنه ذلك– أن يظهر الصلة الخفيّة بين الألفاظ وما يتعلّق بها؛ ليظهر جانباً من جمال هذه اللغة، وأهمّ هذه الألفاظ:

أولاً: المَزير:

ذكر الثعالبي في تفصيل أحوال الشجاع أنه إذا كان شديد القلب رابط الجَأْش فهو مَزْير(١).

وذكر الجوهري في الصحاح: «المَزيرُ: الشديدُ القلْب، عن أبي عبيد. وقد مَزُرَ بالضم مَزَارَةً. وفلانٌ أمْزَرُ منه. قال العباس بن مرداس:

(*) أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، كلية الآداب.

(١) انظر: فقه اللغة ١٠٥. وقال المحقق في الحاشية: « وجاء في بعض النسخ (زير) بالياء، و (زَبْر) بالباء. ولا معنى للثانية. وليس في النسخة التي بين أيدينا ذكر لـ (زَبْر).

تــرى الرجــلَ النحيــفَ فتزْدَريــهِ وفــي أثوابِــــــهِ رجــلٌ مَزيــرُ

ويروى: أسد هصور»[١].

فقد نصّ كلّ من الثعالبي والجوهري على أنّ المزير: هو شديد القلب، فهل هذا يعنــي أنّ المعنى الأصلي للفظ يتّجه إلى معنى الشدّة والقوّة؟.

للإجابة عن ذلك نسوق ما ذكره الزبيدي، قال: « المَزْرُ بالفتح: الحَسْوُ للذَّوْق . والمَــزْرَة: المَصَّة. المَزْر: الرجلُ الظريف كالمَزير كأمير نقله الفــرّاء . المَــزْرُ: دونَ القَــرْصِ نَقَلَــه الصَّاغانِيّ . وقال ابنُ القطَّاع: وَمَزَره مَزْرَاً: قَرَصَه....

والمَزِير كأمير: الشديد القلْب القويُّ النافِذُ في الأمور المُشبَع العقل بَيِّنُ المَــزارَة . قــال العباسُ بنُ مِرداس:

تــرى الرجــلَ النحيــفَ فَتَزْدَرِيــهِ وفــي أَثْوَابِــه رجــــــلٌ مَزِيــرُ

ويُروى: أسَدٌ مَزِير ج أمازِر...»[٢].

إنّ جلّ الألفاظ التي ساقها الزبيدي يمكن أن تردّ إلى معنى الشدة والقوّة، فالمَزْرُ: الحَسْوُ للذَّوْق فيه معنى القوّة فاللسان الذوّاق تعوزه القوّة ليصل إلى المذاق المناسب، على حين أنّ اللسان المريض ضعيف المذاق، والمَزْرَة: المَصَّة، فيها معنى القوّة أيضاً، فالمصّ كي يتحقق لا بدّ له من قوة تعين الفم، والفم الضعيف لا يتحقق له ذلك، ويعاضد هذا قول ابن منظور: «مَرَزَ الصبيُّ ثَدْيَ أُمه مَرْزاً: عصره بأَصابعه في رَضاعِهِ وربما سمي الثدي المِرازَ لذلك»[٣].

أمّا المَزْر: الرجلُ الظريف، فمن حق المرء أن يتساءل: ما صلة ذلك بالقوة والشدّة؟. للإجابــة عن ذلك أسوق ما ذكره الجوهري، قال:« اللَوْذَعِيُّ: الرجل الظريف الحديد الفؤاد»[٤].

وبناء على ذلك فمعنى القوّة واضح بيّن في المَزْر: الرجلُ الظريف.

وأمّا المَزْرُ: دونَ القَرْصِ، أو: مَزَره مَزْرَاً: قَرَصَه فمعنى الشدّة والقوّة متأوّل فيه، ذلك أنّ القرص أو ما دونه هو أَخذ بأَطراف الأَصابع قليلاً كان أَو كثيراً[٥]، والأخذ بأطراف الأصابع على ذلك النحو لا يخلو من شدّ ليتحقق القرص أو ما دونه.

---

(١) انظر: الصحاح: (مزر).

(٢) انظر: تاج العروس (مزر).

(٣) انظر: اللسان (مزر). وقال في التاج (مزر): «وربّما سُمِّي الثَّدْيُ المِرازَ لذلك كذا في اللِّسان . قلتُ: وهو ككَتّابٍ ونَسَــبَه الصَّاغانيّ لابنِ دُرَيْد».

(٤) انظر: الصحاح: (لذع).

(٥) انظر: اللسان (مزر).

ثانياً: حَلْبَسٌ:

ذكر الثعالبي في صفة أحوال الشجاع أنه إذا كانَ لَزُوماً للقِرْنِ لا يُفَارِقُهُ فهو حَلْبَسٌ[١].

وذكر ابن دريد أنّ حَلْبَس: اسم من أسماء الأسد، يقال: حَلْبَس وحُلابِس وحُلَبِس[٢].

وقال الزبيدي عنه هو: « الشجاعُ الذي يُلازِمُ قِرْنَه، كالحبَلْبَس كَسَفَرْجَل قد جاءَ في الشِّعرِ أنشدَ أبو عمرو لنَبْهانَ:

سَيَعْلَمُ من يَنوي جَلائي أنَّني ... أَريبٌ بأَكْنافِ النَّضيضِ حَبَلْبَسُ

قال الجَوْهَرِيّ: وأظنُّه أرادَ الحَلْبَسَ فزادَ فيه باءً. وقد تقدّمَ في موضِعه .

الحَلْبَس: الحريصُ المُلازِمُ للشيءِ لا يُفارِقه قال الكُمَيْت يعني الثَّورَ وكِلابَ الصَّيْدِ:

فلمّا دَنَتْ للكاذَتَيْنِ[٣] وأَحْرَجَتْ ... به حَلْبَساً عندَ اللِّقاءِ حُلابِسا

الحَلْبَس: الأَسَد كالحِلْبِيس بالكَسْر والحُلابِس والحُلَبِس الثلاثةُ عن الصَّاغانِيّ»[٤].

ويلاحظ مما سبق أنّ الحلبس: الشجاعُ الذي يُلازِمُ قِرْنَه، وهو اسم من أسماء الأسد، وهو الحريص المُلازِمُ للشيءِ لا يُفارِقه. والتأمّل فيما سلف يظهر أنّ أصل المعنى منصرف إلى الحرص في ملازمة الشيء من دون مفارقة له، ثم تطوّر ذلك إلى إطلاق اللفظ على الشجاع؛ ذلك أنّ الشجاع يلازم قِرْنَه، ثم سميّ به الأسد لشجاعته.

ويؤيّد ذلك أنّ ابن فارس قد ذكر أنّ الحَلْبَس منحوتٌ من حَلَسَ وحَبَسَ. فالحِلْس: اللازم للشيء لا يفارقه، والحَبْس معروف، فكأنه حَبَس نَفْسه على قِرْنه وحَلِسَ به لا يفارقُه[٥]، على حين أن ابن فارس يذكر في موضع آخر أنّ الحاء واللام والسين أصلٌ واحد، وهو الشيء يلزمُ الشيءَ. فالحِلْس حِلْس البعير، وهو ما يكون تحت البرْذَعة. أحْلَسْتُ فلاناً يَميناً، وذلك إذا أمررتها عليه؛ ويقال بل ألزمته إيّاها. واستَحْلَسَ النَّبت إذا غَطَّى الأرض، وذلك أن يكون لها كالحِلْس. وقد فسّرناه. وبنُو فلانٍ أحلاسُ الخيل، وهم الذين يَقْتنونها ويلزَمون ظهورَها. ولذلك يقول الناس: لَسْتَ مِنْ أحلاسها. قال عبد الله ابن مسلم: أصله من الحِلس. قال: والحِلْس أيضاً: بساطٌ يبسط في البيت. ويقولون: كن حِلْسَ بيتك، أي الزمْه لُزوم البساط. والحَلِس: الرجل الشجاع[٦].

---

(١) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٢) انظر: جمهرة اللغة ٢/ ١١١٥.

(٣) قال في التاج (كوذ): « كَاذَةُ بلا لامٍ: بلدة ببغْدَادَ منها أبو الحسين إسحاقُ بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم الكاذِيّ ثِقَةٌ».

(٤) انظر: تاج العروس (حلبس).

(٥) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ١١٧.

(٦) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ٧٧.

فالأصل (حلس) يدل على الشيء يلزمُ الشيءَ، وقد مثّل له بحِلْس البعير، وأحلس فلانٌ يميناً، واستَحْلَسَ النَّبت، وبنُو فلانٍ أحلاسُ الخيل، والحلس البساط، كن حِلْسَ بيتك، والحَلِس: الرجل الشجاع، وكلّ ذلك متأوّل على معنى لزوم الشيء.

ثالثاً: الغَلِثُ:

ذكر الثعالبي – عَن الأَصْمَعِي– في نعت أحوال الشجاع أنه إذا كانَ شَدِيدَ القِتَالِ لَزُوماً لِمَنْ طَالَبهُ فهو غَلِثٌ[1].

وقال ابن فارس: «الغين واللام والثاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُ على الخَلْط والمُخالَطة. من ذلك: غَلَثْتُ الطّعامَ: خلَطت حنطةً وشعيرا . وهو الغلِيث. ورجل غَلِثٌ، إذا خالَطَ الأقرانَ في القِتال لَزُوماً لما طَلَب. ويقال: غَلِثَ به، إذا لزمَه. وغَلِثَ الذئبُ بالغَنم: لازَمَها.

فأمَّا قولهم: غَلثَ الزَّندُ، إذا لم يَرِ، فهو كلامٌ غير ملخَّص؛ وذلك أنَّ معناه أنّه زَندٌ منتخَب، وإنَّما هو خِلْطٌ من الزُّنُودِ، قد أُخِذَ من العُرْضِ مُخْتلِطاً بغيره. يراد بالغَلَث خَشَبه، وإذا كان كذلك لم يَرِ»[2].

فكلام الثعالبي يفهم منه أنّ الغلث فيه معنى اللزوم، ذلك أنّ الشجاع يكون لزوماً للقتال، على حين أنّ ابن فارس يردّه إلى الخلط والمخالطة، غير أنّه يشير في الوقت ذاته إلى معنى اللزوم أيضاً، وعليه فثمة رابط خفي بين معنى اللزوم ومعنى الخلط والمخالطة؛ ذلك أنّ الرجل الغَلِث يخالَطُ الأقرانَ في القِتال، فهو يلزمهم، وفعل الجبان مناقض لذلك، وهذا الفعل منه يدلّ على الشجاعة، وقد ألمح ابن فارس إلى ذلك لدى قوله: «ورجل غَلِثٌ، إذا خالَطَ الأقرانَ في القِتال لَزُوماً لما طَلَب»، وهو بهذا جمع بين معنى اللزوم والمخالطة.

رابعاً: مِخَشّ ومِخْشَف:

ذكر الثعالبي – عن أبي عمرو– أنّ الرجل إذا كان جريئاً على الليل فهو مِخَشّ ومِخْشَف[3].

بيّن من كلام الثعالبي أنّ معنى اللفظين يتّجه إلى الجرأة.

على حين أنّ ابن فارس قال:« الخاء والشين أصلٌ واحد، وهو الوُلوج والدُّخول. يقال: خَشَّ الرّجُلُ في الشّرّ: دخل. ورجل مِخَشٌّ: ماضٍ جَرِيءٌ على اللَّيل»[4].

---

(١) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٤/ ٣١٣.

(٣) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٤) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ١٢١.

فابن فارس يردّ أصل اللفظ إلى الولوج والدخول، وهو في الوقت نفسه يُلمح من كلامه أنّ الرجل المِخَشّ ماضٍ جَريءٌ على اللّيل، ولا يخفى المعنى المجازي هنا، فكأن هذا الضرب من الرجال قد دخل في قلب الليل وولجه، وهذا لا يفعله إلاّ المقدام الشجاع من الرجال.

وثمة معنى ورد في حديث عليّ -كرّم الله وجهه- أنّه كان صلى اللّه عليه وسلم مِخَشّاً، وقد فسّر المخشّ بالذي يخالط الناس ويأكل معهم ويتحدّث[1].

وهذا المعنى أيضاً وهو مخالطة الناس يمكن ردّه إلى الولوج والدخول؛ ذلك أنّ من يخالط الناس ويأكل معهم ويتحدّث لا بدّ له من الدخول فيهم، وعليه فقد فسرّت الوَليجة ببطانةُ الرَّجُلِ ودِخلتُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[التوبة ١٦][2].

أمّا ما يتعلق بالمِخْشَف فإنّ اللفظ يردّ كذلك إلى معنى الدخول والولوج، فمن معانيه كما سلف الجَريءُ على هَوْلِ الليل[3]، ما قيل في مِخَشّ يقال فيه، غير أنّ ثمة من ذكر أنّهم يقولون: دليل مخشف: يخشف بالقوم، أي: يسير أمامهم[4]، وهذا يمكن أن يردّ إلى معنى الدخول والولوج، فهو أوّل من يلج المكان من القوم لمعرفته به، فهو قد خالط هذا المكان وخبره، ولولا ذلك ما اتخذه القوم دليلاً لهم، وقد سلف أنّه يمكن أن تردّ ذلك إلى الدخول والولوج.

خامساً: مِحْرَبٌ:

ذكر الثعالبي أن الرجل إذا كان مقداماً على الحرب عالماً بأحوالها فهو مِحْرَبٌ[5].

يلاحظ من كلام الثعالبي أنّه لم يتكلم على معنى اللفظ أو أصله؛ بل اقتصر على نعت الرجل المقدام العالم بأحوال الحرب.

وهذا يستدعي الكلام على أصل اللفظ، قال ابن فارس: « الحاء والراء والباء أصولٌ ثلاثة: أحدها السّلْب، والآخر دويبّة، والثالث بعضُ المجالس.

فالأوّل: الحَرْب، واشتقاقها من الحَرَب وهو السَّلْب. يقال حَرَبْتُه مالَه، وقد حُرِب ماله، أي سُلِبَه، حَرَباً. والحريب: المحروب. ورجل مِحْرَابٌ: شجاعٌ قَؤُومٌ بأمر الحرب مباشرٌ لها[6].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٦٤٣.

(٢) انظر: العين ٦/ ١٨٢.

(٣) وانظر: تهذيب اللغة ٨/٤٢، واللسان (خشف).

(٤) انظر: العين ٤/ ١٧١.

(٥) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٦) في المعجم الوسيط (حرب): «رجل محراب خبير بالحرب شجاع (ج) محاريب».

وحَريبة الرَّجُل: مالُه الذي يعيش به، فإذا سُلِبَه لم يَقُمْ بعده. ويقال أسَدٌ حَرِبٌ، أي من شدّة غضبه كأنّه حُرِب شيئاً أي سُلِبه. وكذلك الرجل الحَرِب.

أما الدويْبَّة فالحِرباء. يقال أرض مُحَرْبئة، إذا كثُر حِرباؤها. وبها شبِّه الحِرْباء، وهي مسامير الدُّروع. وكذلك حَرَابيّ المَتن، وهي لَحَماتُهُ.

والثالث: المحراب، وهو صدر المجلس، والجمع محاريب. ويقولون: المحراب: الغرفةُ في قوله تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) [مريم ١١]....

ومما شذَّ عن هذه الأصول الحُرْبة. ذكر ابنُ دريد أنها الغِرارَة السَّوداء»[١].

فقد ردّ ابن فارس اللفظ (حرب) إلى ثلاثة أصول: السلب، والدويبة الحرباء، و صدر المجلس، وذكر أنّ الحُرْبة قد شذّت عن هذه الأصول.

وإذا تأمّل المرء في هذه الأصول يجد أنّ هناك صلة فيما بينها، فالحرب السلب، والحرباء الدويبة عندما تكثر في مكان يقال له: أرض مُحَرْبئة، فسطح الأرض والحالة هذه لايبدو، فكأنه قد سلب وذهب فلم يظهر.

وأمّا المحراب، وهو صدر المجلس فالنظر لا يرى سواه، فهو يلفت نظر المرء، فيتّجه الذهن إليه دون غيره في ذلك المكان، فهو بشكله يسلب النظر عمّا حوله.

سادساً: ذَمِرٌ:

ذكر الثعالبي-عن الفرّاء- أنّ الرجل إذا كان مُنْكراً[٢] شديداً فهو ذمِرٌ[٣].

وهذا الذي ذكره الثعالبي ليس فيه ما يدلّ على المعنى الأصلي للفظ. على حين أن صاحب كتاب العين بيّن معنى اللفظ، قال: «الذَّمْرُ اللَّوْم والحَضُّ معاً، والقائد يذمُر أصحابه أي يلومهم ويسمعهم ما يكرهون ليكون أجدَّ لهم في القتال... والتَّذَمُّرُ: هو أن يُقَصِّرَ الرجل في أمر فيلوم نفسه ويُعاتبها كي يَجِدَّ في الأمر. والقوم يتذامَرون في الحرب وذِمارُ الرجل: كل شيء يلزَمُه الدفْعُ عنه وإن ضَيَّعَه لَزِمه الذَّمْر أي اللوم»[٤].

فقد بيّن صاحب العين أنّ الذَّمْرَ اللَّوْم والحَضّ معاً، فهل هذا يدلّ على أن المعنى الأصلي للفظ يقوم على اللَّوْم والحضّ؟.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٣٩/٢.

(٢) قال محقق فقه اللغة ١٠٥ في الحاشية: «المُنكَر: الداهية، نسبة إلى النّكر. والنكر: الأمر الشديد».

(٣) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٤) انظر: العين ١٨٥/٨.

للإجابة عن ذلك نذكر ما ساقه ابن فارس، قال: «الذال والميم والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شِدّةٍ في خَلْق وخُلُق، من غضَب وما أشبهه. فالذِّمْرُ: الرّجُل الشجاع. وكذلك الذَّمْر الحَضُّ. وإذا قيل فلانٌ يتذمَّر، فكأنَّه يلوم نفسه ويتغضَّب. والذِّمار: كلُّ شيءٍ لَزِمَك حِفْظُه والغضبُ له.

وأمّا الذي قُلْناه في شِدَّة الخَلْق فالمُذَمَّر، هو الكاهل والعُنُق وما حولَه إلى الذِّفْرَى، وهو أصل العُنق. يقولون: ذَمّرْتُ السّليلَ، إذا مَسِسْتَ قفاه لتنظر أذكرٌ أم أنثى.

ويقولون: إذا اشتدّ الأمر: بلغ المُذَمَّر. ويقولون رجلٌ ذَمِيرٌ وذَمِرٌ: مُنْكَر. وتذامَرَ القومُ إذا حَثَّ بعضُهم بعضاً. ومن الباب: ذَمَرَ الأسد: إذا زأر، يذْمُر ذَمِرَة»[1].

يلاحظ من كلام ابن فارس أنّه يرجع اللفظ إلى شدّة في خَلْق وخُلُق، من غضَب وما أشبهه، ثم تراه يقول: وكذلك الذَّمْر الحَضُّ، ثم إنّه يقول: والذِّمار: كلُّ شيءٍ لَزِمَك حِفْظُه والغضبُ له، إلى أن يقول: ومن الباب: ذَمَرَ الأسد: إذا زأر، يذْمُر ذَمِرَة.

والمرء للوهلة الأولى قد يرى أنّ ما ساقه ابن فارس ليس متصلاً بعضه ببعض، فهو يردّ اللفظ تارة إلى الشدّة وأخرى إلى الغضب، وثالثة إلى لزوم الشيء، ورابعة إلى الشجاعة.

والمتأمل في كلام ابن فارس يجد رابطاً يجمع ما ساقه، وهو إرجاع اللفظ إلى معنى الشدّة، ذلك أنّ الغضب لا يخلو من شدّة تعتري الغضبان، والمرء إن لزم شيئاً ليحفظه لابدّ له والحالة هذه من شدّة فيه كي يتحقق له ما يريد، والشجاع لابدّ أن يكون شديد البأس قوياً، ثابت القلب شديده.

سابعاً: الباسل:

ساق الثعالبي في صفة أحوال الشجاع أنّ الرجل إذا كان به عبوس الشجاعة والغضب فهو باسل[2].

فقد بيّن الثعالبي صفة الشجاع بالباسل، غير أنّه لم يُرجع اللفظ إلى معناه الأصلي، على حين أنّ ابن فارس قد تكلّم على المعنى الأصلي له، قال: « الباء والسين واللام أصلٌ واحد تتقارب فُروعُه، وهو المنْع والحبس، وذلك قولُ العرب للحرام: بَسْلٌ. وكلُّ شيءٍ امتَنَع. فهو بَسْلٌ...

والبَسالة الشّجاعة من هذا؛ لأنّها الامتناع على القِرْن. ومن هذا الباب قولهم: أَبْسَلْتُ الشّيءَ أسلمتُهُ للهَلَكَةِ. ومنه أَبْسَلْتُ وَلَدِي رهنتُه. قال الله تعالى: ﴿أُولئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾[الأنعام ٧٠]...

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٢/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

وأما البُسْلَةُ فأُجرة الرّاقِي، وقد يُرَدُّ بدقيقٍ من النّظر إلى هذا. والأحسنُ عندي أن يقال هو شاذٌ عن معظم الباب. وكان ابنُ الأعرابي يقول: البَسَل الكريه الوَجْه؛ وهو قياسٌ صَحيحٌ مطّرِدٌ على ما أصَّلْناه»[1].

فابن فارس ردّ المعنى الأصلي إلى الحبس والمنع، فالحرام حبس ومنع؛ لأن المرء يمنع نفسه منه، والبسالة: الشجاعة منع أيضاً؛ لأنّها الامتناع على القِرْن.

وأمّا الآية التي ساقها ابن فارس – وكلامه بعدها أيضاً– فيعوزه فضل تأمّل، فهذا الراغب يقول: « البُسل: ضم الشيء ومنعه، ولتضمنه لمعنى الضم استعير لتقطيب الوجه، فقيل: هو باسل ومبتسل الوجه، ولتضمنه لمعنى المنع قيل للمحرم والمرتهن: بسل، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام/٧٠] أي: تحرم الثواب، والفرق بين الحرام والبسل أن الحرام عامّ فيما كان ممنوعاً منه بالحكم والقهر، والبسل هو الممنوع منه بالقهر، قال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام/٧٠] أي: حرموا الثواب، وفسر بالارتهان لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر/٣٨].....

وقيل للشّجاعة: البسالة، إما لما يوصف به الشجاع من عبوس وجهه، أو لكون نفسه محرماً على أقرانه لشجاعته، أو لمنعه لما تحت يده عن أعدائه، وأبسلت المكان: حفظته وجعلته بسلاً على من يريده، والبسلة: أجرة الراقي، وذلك لفظ مشتق من قول الراقي: أبسلت فلاناً، أي: جعلته بسلاً، أي: شجاعاً قوياً على مدافعة الشيطان أو الحيّات والهوام، أو جعلته مبسلاً، أي: محرماً عليها، وسميّ ما يعطى الراقي بسلة، وحكي: بسلت الحنظل: طيّبته، فإن يكن ذلك صحيحاً فمعناه: أزلت بسالته، أي: شدّته، أو بسله أي: تحريمه، وهو ما فيه من المرارة الجارية مجرى كونه محرماً، و (بسل) في معنى أجل وبس»[2].

ثامناً: بُهمة:

ذكر الثعالبي – عن الليث– أنّ الشجاع إذا كان لا يُدرى من أين يُؤتى لشدّة بأسه فهو بُهمَة[3].

وقد سلف في بحث سابق[4] الكلام على هذه اللفظة، وخلاصته أنّ الأصل في البُهم هو العسر في إتيان الشيء، فالأمر المُبهم يصعب حلّه، فهو مصمت يخلو من الفرج، والصخرة التي لا خرق فيها بُهمة، يعسر على المرء كسرها أو التصرف بها، ولمّا كان الشجاع لا يُقدر

(١) انظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٣٥.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ١/٨٩.

(٣) انظر: فقه اللغة ١٠٥.

(٤) ثمّة كلام ذكرته حول لفظ (البهيم) في بحث بعنوان: «من أسماء الليل وصفاته معانيها ودلالاتها» وسينشر قريباً في مجلة جامعة الفرات (العدد ١٥).

عليه من أي ناحية طُلب شبّه بالصخرة البُهمة، ونعتت به جماعة الفرسان إذ هي لا يُقدر عليها من أيّ جهة، فهي تستغلق على طالبها، والحائط الذي ليس فيه باب مُبهم مُصْمَت، لا ينفذ الشيء منه، وكل شيء لا صدع ولا خلط فيه مُبهم؛ لأنه والحالة هذه مُصْمَت يصعب إتيانه، والبَهيم اللون لا يخالطه سواه، فهو يستعصي خلطه بغيره، إذ لا شِيَةَ فيه من الدُّهمة والكُمْتَة[1]، ولذا وصف الليل به، ونعت الصوت به.

وذكر أنّه مما شذّ عن ذلك البَهم لصغار الغنم، وأغلب الظنّ أن لا شذوذ فيه، فلعلهم سموها البَهم؛ لأنها تأتي نبات البُهمى، وهذا النبات يستعصي عليها.

وذكر أيضاً أنه مما شذّ عن ذلك الإبهام من الأصابع، وأغلب الظنّ أنه سميّ بذلك لأن به تجمع الكف وتطبق، فإن اجتمعت الأصابع في الكفّ استعصى فتحها على من يحاول ذلك.

تاسعاً: بَطَـــلٌ:

ساق الثعالبي في نعت الشجاع أنه إذا كان يُبطِل الأشدّاء والدّماء فلا يُدرَك عنده ثأر فهو بطلٌ[2].

وهذا الذي ساقه الثعالبي محصور في نعت أحوال الشجاع، وليس فيه ما يدلّ على إرجاع للفظ إلى معناه الأصلي، وعليه فلا بد من الحديث عن ذلك.

قال ابن فارس: «الباء والطاء واللام أصلٌ واحد، وهو ذَهاب الشيء وقِلَّة مُكثه ولُبْثه. يقال بَطَلَ الشيءُ يَبطُل بُطْلاً وبُطُولاً. وسُمِّي الشيطانُ الباطلَ لأنه لا حقيقةَ لأفعاله، وكلُّ شيءٍ منه فلا مَرْجُوعَ له ولا مُعَوَّلَ عليه. والبَطَل الشُّجاع. قال أصحاب هذا القياس: سُمّي بذلك لأنه يُعرِّض نَفْسَه للمتالف. وهو صحيحٌ، يقال: بَطَلٌ بيِّنُ البُطولة والبَطالة. وقد قالوا: امرأةٌ بَطَلَةٌ... ويقال رجل بطَّالٌ بيِّن البَطالة. وذَهَبَ دمُه بُطْلاً، أي هَدَراً»[3].

فالمعنى الأصلي للكلمة يدلّ على ذهاب وقلّة مكث ولبث، فالشيطان باطل؛ لأنّ أفعاله إلى ذهاب وزوال، والشجاع بطل؛ لأنّ فعله في بذل النفس يؤدي إلى إتلافها وزوالها.

عاشراً: غَشَمْشَمٌ:

نقل الثعالبي عن الأصمعي في ذكر تفصيل أحوال الشجاع أنّ الرجل إذا كان يركب رأسه لا يثنيه شيء عمّا يريد فهو غَشَمْشَمٌ[4].

---

(١) الكُمْتَةُ: حُمرة يدخُلها قُنُوءٌ. انظر: الصحاح (كمت).

(٢) انظر: فقه اللغة ١٠٥- ١٠٦.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٤٤.

(٤) انظر: فقه اللغة ١٠٦.

فقد ساق الثعالبي صفة الشجاع؛ دون أن يتطرق إلى المعنى الأصلي للكلمة، فإلى ماذا يرجع أصل اللفظ؟.

قال ابن فارس في أصل اللفظ: «الغين والشين والميم أصلٌ واحد يدلُّ على قَهْر وغَلَبة وظُلْم. من ذلك الغَشْم، وهو الظُّلم. والحَرْبُ غشومٌ؛ لأنَّها تنال غيرَ الجاني. والغَشَمْشَم: الذي لا يثنيه شيءٌ من شجاعته . وزِيْدَ في حروفه للزِّيادة في المعنى»(١).

فابن فارس يردّ اللفظ إلى أَصل واحد يدلّ على قهر وغلبة وظلم، وقد مثّل له بالحرب الغشوم التي تقوم على الغلبة والقهر والظلم، فهي تقهر وتظلم من ليس له صلة مباشرة بها، ولم يخرج ابن فارس الغَشَمْشَم عن الأصل الذي تكلّم عليه، وقد تغيّر معناه بناء على زيادة في المبنى، فكلّ زيادة في المبنى يوافقها زيادة في المعنى كما هو معروف.

وهذا الذي ذكره ابن فارس فيه نظر؛ ذلك أنّ الغَشَمْشَم يركب رأْسَه لا يَثْنيه شيء عما يريد ويَهْوَى من شجاعته(٢)؛ فكأنه يقهر نفسه، ويغلبها ويكفّها على ما تهوى من حبّ للحياة وتمسك بها.

أحد عشر: الأيهم:

تكلّم الثعالبي على أحوال الشجاع فنقلَ عن الليث أنّ المرء إذا كان لا ينحاش لشيء(٣) فهو أيهم(٤).

فالثعالبي لم يذكر المعنى الذي يمكن أن يعود لفظ الأيهم إليه، على حين أنّ ابن فارس قال: «اليهماء: المفازة لا عَلَمَ بها. ويقال الأيْهمانِ: السَّيل والحَريق. ويقال الأيْهَمُ من الرِّجال: الأصَمُّ. ويقال للشُّجاع أيْهَم، وهو من الباب، كأنَّه لا مَأتَى لأحدٍ إليه»(٥).

فابن فارس يقول: الأيْهمانِ: السَّيل والحَريق من دون أن يذكر تعليل التسميّة أو على أيّ أساس بُنيت، على حين تجد ابن السكيت يقول:« وقال أبو عبيدة: الأيهمان عند أهل البادية السيل والجمل الهائج(٦) يتعوذ منهما»(٧).

فالسيل والجمل الهائج لا يقف في سبيلهما شيء، وكذا الحريق، ولذا قال أبو عبيد: وإنَّما سمِّي أيْهَمَ لأنَّه ليس ممَّا يُستطاع دفعُهُ لا ينطق فيُكَلَّمُ أو يُسْتَعْتَبُ(١) ، ويفهم من هذا أنّ ثمّة

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٤/ ٣٤١.

(٢) انظر: اللسان والتاج (غشم).

(٣) أي: لا يكترث له. انظر: أساس البلاغة (حوش).

(٤) انظر: فقه اللغة ١٠٦.

(٥) انظر: مقاييس اللغة ٦/ ١٢٢.

(٦) وعند أهل الأمصار السيل والحريق. انظر: إصلاح المنطق ١/ ٣٩٦.

(٧) انظر: إصلاح المنطق ١/ ٣٩٦.

صلة بين السيل والحريق والجمل الهائج إذ لا يقف في طريقهم أيّ شيء، وكذا الشجاع كأنه لا يطيق أحدٌ أن يقف في سبيله، ويؤيّد ذلك ما ذكره ابن سيده، قال: «الأَيْهَمانُ عند أهل الحضر: السيل والحريق، وعند الأعراب: الحريق والجمل الهائج، لأنه إذا هاج لم يستطع دفعه بمنزلة الأَيْهَمِ من الرجال»[٢].

الخاتمة:

- بيّن البحث ما ساقه الثعالبي في كتابه (فقه اللغة) من ألفاظ في الشجاعة وتفصيل أحوال الشجاع، وبنى عليها المادة اللغوية اللازمة، فمادة البحث الأساسية قامت على الألفاظ التي ذكرها الثعالبي، وهي ألفاظ يسيرة قليلة.
- لم يكتف البحث بهذه الألفاظ؛ لأن الثعالبي لم يربطها بالمعنى الأصلي، ولذا سعى البحث أنْ يردّ اللفظ إلى أصله، ثم ساق الألفاظ التي تتصل به، وجهد ما استطاع في إظهار الصلّة الخفيّة بينها؛ كي يبرز جانباً يسيراً من جوانب جمال هذه اللغة التي يرميها كثير من الناس في هذه الأيام بالتعقيد والوعورة والصعوبة وبأنها لا تصلح لهذا الزمن، زمن العلم والتقدّم في المجالات كافة، ومن يتأمّل حال هذه اللّغة يجدها دقيقة في تعبيرها ودلالتها؛ حتى في تلك الألفاظ التي يسبغ عليها الناس أوصافاً من مثل الحزونة والوعورة وما شابه ذلك، فالعربيّة إن كانت غاية في الدقة وجمال الاستخدام في تلك الألفاظ فمن الأولى إذن أن تكون أكثر دقة وجمالاً في يسير اللفظ وسهله.
- وكي يصل البحث إلى مراده في إحكام الصلة بين الألفاظ والمعنى الأصلي، أو في إظهار الصلة بينها اجتهدَ في التأويل، وحاول أن يتلطّف في ذلك، وإن وجد القارئ بعض التكلّف في التأويل فعذر الباحثة هو تحمّسها لما درج عليه بعضٌ من أشياخ العربيّة من أمثال ابن جني في الاشتقاق الأكبر، وابن فارس في المقاييس وهو أنّ الألفاظ مهما تباعدت فيمكن أن تردّ بلطف الصنعة والتأويل إلى أصل تصدر عنه، وحسبي أني بذلت الجهد في ذلك.

---

(١) انظر: الصحاح (يهم). وانظر: المحكم ٣٩١/٤.

(٢) انظر: المحكم ٣٩١/٤.

المصادر والمراجع:

- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الرابعة ، ١٩٤٩
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج وغيره، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٣٨٥– ١٩٦٥ – ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط أولى ١٩٨٧.
- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ.
- فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بلا تاريخ.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م
- مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار النشر / دار القلم ــ دمشق، بلا تاريخ.
- مقاييس اللّغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، تحقيق عبد السَّلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م